إنَّ الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوبٍ إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخِليله، وأمينه على وحيه، ومبلِّغ الناس شرعه، ما ترك خيرًا إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .أمَّا بعد:

فإن من الواجبات الجسيمة التي يجب على العبد رعايتها، والأمانات العظيمة التي يلزم الاهتمام بها ورعايتها:

العناية بالأبناء تربيةً وتأديبا ونصحًا وتوجيها، فإنها أمانةٌ عظيمة ومسؤوليةٌ جسيمة وواجبٌ كبير، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا لَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنـٰتِكُمُ وَأَنتُمْ تَعَـلَمُونَ 🖤 وَأَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمُولُكُمُ وَأُولَادُكُمُ فِتُنَدُّ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال:٢٧-٢٨]؛ والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى وهب الآباء هـؤلاء الأبناء امتحانًا وابتلاءا، واتمـن الأب علـي أبنائـه واتمـن الوالد على أولاده وجعل عليه لأولاده حقوقًا، فإذا قام بها وأدَّاها كما أمر فإن له عند الله أجرًا عظيما وثوابًا جزيلا، وإذا فرَّط عرض نفسه للعقوبة بحسب تفريطه.

ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فُوَّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا زَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَتِهَكَّةً غِلاَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرهُمْ وَيُفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]؛ والآية أصل عظيم في تأديب الأولاد وتربيتهم ووجوب ذلك وتحتُّمه على الآباء . وفي الصحِيحين (١) من حديث ابن عمر رَضَوَليَّهُ عَنْهُا أن النبي عَلَيْ قال: «كُلَّكُمْ رَاع وَكُلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعِ وَهُـوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُـلُ رَاع فِي أَهْلِهِ وَهُو مَسْتُولٌ عَّنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُــوَ مَسْــئُولُ عَــنْ رَعِيَّتِــهِ، أَلا كُلِّكُــمْ رَاع وَكُلَّكُــمُّ مَسْــئُولُ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ» . وفي روايـة «كُلَّكُـمْ رَاع وَكُلَّكُـمْ مَشَّـتُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، وَالأَمِيرُ رَاع، وَالرَّجُلُ رَاع عَلَى أَهْل بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَّدِهِ، فَكُلَّكُمْ رَاع وَكُلَّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَتِهِ » (٢٠) ومعنى مسئول: أي أن العبد إذا وقَّف بين يدي الله جل في علاه سأله عن ذلك، وقد قال بعض العلماء: إن الله جل وعلا يوم القيامة يسأل

(١) أخرجه البخاري (رقم/ ٩٩٣) واللفظ له؛ ومسلم (رقم/ ١٨٢٩). (٢) أخرجه البخاري (٥٢٠٠).

الوالد عن ولده قبل أن يسأل الولد عن والده (٣)، فإنه سبحانه كما أوصى الأبناء بالآباء برًا وإحسانا فقد أوصى الآباء بالأبناء تربيةً وتأديبا؛ فإنه جل في علاه كما أنه قال: ﴿ وَوَصِّينَا ٱلْإِنسَنَ بَوَلِدَيْهِ حُسِّنًا ﴾ [العنكبوت:٨] فإنه قبال جبل في عبلاه: ﴿ يُوصِيكُو ٱللَّهُ فِي ٱوْلَكِدِكُمْ ۗ ﴾ [النساء:١١] وقال ﴿ قُواً أَنفُسكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم:٦].

نعم؛ إنها مسئوليةٌ جسيمة وأمانةٌ عظيمة؛ فالواجب على كل والد أن يتقىي الله في أولاده وأن يعمـل علـي تأديبهـم وتربيتهـم وتنشـئتهم على عقائد الدين وأعمال الإسلام وآدابه العظيمة، وأن يعمل على تنشئتهم النشأة الصالحة على أساس من تقوى الله جل وعلا والقيام بحقوقه جل في علاه.

 ♦ وتربية الأبناء تقوم على ركائز عظيمة وأسس مهمة لابد من العناية بها؛ ليتحقق للعبد هذا المقصود الجليل والمطلب

\* ومن أهم هذه الركائز: الدعاء لهم من قبل مجيئهم ومن بعده؟ من قبل مجيئهم بالهبة الصالحة، ومن بعده بالهداية والصلاح، ثم إذا شبُّوا على الهداية والصلاح يُدعى لهم بالاستقامة والثبات. ومن دعوات النبيين في هذا الباب دعاء خليل الرحمن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ [الصافات:١٠٠]، ومن دعائه: (وَأَجْنُبْنِي وَيَنِيَّ أَن نَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥]، ومن دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوْةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيَّ ﴾[إبراهيم:٤٠]، ومن دعوات زكريـا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّذُنكَ ذُرِّيَّةً ۖ طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران:٣٨]، ومن دعاء عباد الرحمن كما في أواخر سورة الفرقان: ﴿ رَبُّنَا ۚ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَجِنَا وَذُرِّيَّكِنِنَا قُـرَّةَ أَعْيُنِ وَٱجْعَكُنَا لِلْمُنَّقِينَ إِمَامًا ﴾[الفرقان:٤٧].

وليُعلم أن دعوة الوالد لولده مستجابةٌ لا ترد فقد قال ﷺ: « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة الوالد، ودعوة المسافر» (٤) وليُحذر أشد الحذر في هذا المقام أن يتعجَّل الوالد بدعوةٍ ولاسيما في حال غضب على ولده بالشر، ثم تستجاب دعوته تلك فيندم على ذلك ندامة شديدة، والله يقول: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَانُ بِٱلشَّرِ دُعَآءَهُ، بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

\* وإن من الركائـز العظيمـة في تربية الأبنـاء: العدل بينهـم والبُعد عن الجور والحيف والظلم؛ فإن الأب إذا لم يعدل بين أبنائه أوجـد بينهـم العـداوة والتحاسـد والتباغـض، وإذا عـدل بينهـم كان

عدله من أعظم أسباب توادهم ومحبتهم ومن أعظم أسباب برهم أجمعين له، وفي الصحيحين<sup>(٥)</sup> عن النعمان بن بشير رَضَوَاللَّهُ عَنْهُ عندما نحله والده نحلة وطلبت أمه أن يُشهد على ذلك رسول الله ﷺ، فلما أتبى رسول الله ﷺ قال له عَلَيْهِ أَالَ لَهُ عَلَيْهِ أَلَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ: (أَكُلُّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: «لا»، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَاتَّقُوا اللهُ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ» (٢)، وفي رواية «لا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ» (٧)، وفي رواية في «صحيح مسلم» (٨) أن النبي عَلَيْ قال له: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً؟» قَالَ: «بَلَيْ»، قَالَ: «فَلَا إِذًا»؛ تحذيرًا منه صلوات الله وسلامه عليه من عدم العدل بين الأبناء لما يورثه من عقوقٍ وعدم بر وإحسان وتقاطع وتهاجر

e (Stie Toe (Sti

\* ومن ركائر تربية الأبناء: الرفق بهم ومعاملتهم بالرحمة واللطف والإحسان، والبعد عن الغلظة والشدة والجفاء؛ فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه ولا نُزع من شيء إلا شانه، وتبدأ هذه الرحمة وهذا التلطف وهذا الرفق مع الأولاد منذ صغرهم ونعومة أظفارهم، وتمضى معهم دائمةً مستمرة رفقًا وحنوًّا وعطفًا من الآباء على أبنائهم، وقد جاء في الصحيحين(٩) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قبَّل الحسن ابن على، والأقرع بن حابس جالسٌ عنده فقال: ﴿إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وقَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»، ا وفي الصحيحيـن (١٠٠) مـن حديـث أم المؤمنيـن عائشـة رَضَّالِيَّكُّعَنَّهَا قالت: جاء أعرابي إلى رسول الله عَلَيْ وقال: « تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةً»، فإن هذه الرحمة يا معاشر المؤمنين والرفق بالأبناء سببٌ لقرب الأبناء من آبائهم ومحبتهم لهم؛ فإذا وُجد هذا القرب ووجدت هذه المحبة تمكن الأب من التوجيه والنصح والبيان مع تقبُّل تام من الأبناء واهتمام بتوجيهات الآباء.

\* ومن الركائر العظيمة في تأديب الأبناء: أن يحرص الأب دائمًا على التوجيـه والنصـح والوصيـة بمعالـي الأمـور ورفيعهـا؛ وصيـةً بالعقائد الدينية العظيمة وفرائض الإسلام وواجباته المتينة، والنهى عن الحرام والتحذير من الآثام، وإن من بليغ وعظيم

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)؛ ومسلم (١٦٢٣)، وفي آخره قال ﷺ: "فارجعه". (٦) هذه الزيادة في لفظ آخر للحديث أخرجها البخاري (٢٥٨٧). (٧) أخرجه البخاري (٢٦٥٠)؛ ومسلم (١٦٢٣). (٨) (١٦٣٣).

<sup>. (</sup>٩) أخرجه البخاري (٩٩٧٥)؛ ومسلم (٢٣١٨). (١٠) أخرجه البخاري (٩٩٩٥)؛ ومسلم (٢٣١٧).

ونافع وصايا الآباء للأبناء تلك الوصايا العظيمة والمواعظ المسدُّدة للقمان الحكيم وهو يعظ ابنه، وقد ذكرها الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم في سورة لقمان أنموذجًا رفيعًا ومشالًا عليًّا لوصية الأبناء وتربيتهم وتأديبهم بالآداب الفاضلة والأخلاق الكاملة. وإن من أعظم ما يكون في هذا المقام تربية الأبناء منذ أول النشأة وبداية الأمر على الاعتقاد الصحيح إيمانًا بالله وبكل ما أمر عباده بالإيمان به وتوحيده جل في علاه وإخلاص الدين له، قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَهِعُمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[البقرة:١٣٢]، وفي أوائــل وصايــا لقمــان لابنــه: ﴿ يَبُنَىٰٓ لَا ثُثِّرِكَ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلُّمُّ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، ثم من بعد ذلك -من بعد الوصية بالتوحيد والإيمان- تأتى الوصية بفرائض الإسلام العظيمة وواجباته المتحتمـة والنهـي عـن الحـرام والتحذيـر مـن الآثـام، ومـن أعظـم ما يكون في هذا الباب وصية الأبناء بالصلاة ﴿ وَأَمُرُ أَهُلُكَ بِٱلصَّلُوةِ لِّصَطِّيرٌ عَلَيْهَا ﴾[طه:١٣٢]، وفي «المسند» و«سنن أبي داود» عن النبي عِيرٌ أنه قال: «مُرُوا أَوْلاَدِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْع سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ» وفي رواية «مُرُوا صَبْيَانَكُمْ ِ بِالصَّلَاةِ لِسَبْع، وَاضْرِبُوهُـمْ عَلَيْهَـا لِعَشْـرِ» (١١)

\* وإن من الركائــز العظيمــة في تأديب الأبناء وتربيتهــم: تعاهدهـم في باب الجليس والصاحب؛ فإن الصاحب ساحبٌ ومؤثر في جليسه ولابد، ويبين لهم ذلك المثال الرفيع الذي ذكره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في بيان تأثير الصاحب على صاحبه في الخير أو الشر، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِح وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخ الْكِيرِ، فَحَامِلَ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْـهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِـدَ مِنْـهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً "(١٢)، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ » (١٣).

ثم يجب التنبه أنه قد استجدّ في زماننا هذا نوعٌ من الأصحاب والجلساء لم يكن له وجودٌ في زمن سابق؛ ألا وهو مجالسة القنوات الفضائية ومواقع الأنترنت ونحو ذلك من خلال الوسائل الحديثة التي استجدّت في بيوت الناس وفي أيديهم في زماننا هذا؛

(١١) أخرجه أحمد (٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٩٥)، وقال عنه الألباني في «الثمر المستطاب»: هو حديث

حسن أو صحيح بطريقيه. (١٧) أخرجه البخاري (٥٣٤)؛ ومسلم (٢٦٢٨)، عن أبي موسى. (١٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)؛ والترمذي (٢٣٧٨) بلفظ: «الرجل على... »، عن أبي هريرة، وأحمد (٨٠٨) باللفظ المذكور أعلاه، وحسنه الألباني في اصحيح الجامع» (٨٥٨).

ولهذا يلزم الآباء متابعة أبنائهم في هذا النوع من الأصحاب لأن له تأثيرا بالغا وخطورةً عظيمة على العقول والأديان والأخلاق والآداب، فكم تاه من الشباب والشابات بسبب هذه الوسائل في أمورِ عظيمة وبلايا جسيمة لا يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى . \* وإن من الركائـز العظيمـة في تأديـب الأبناء وتربيتهـم: أن يكون الوالد قدوةً لأبنائه، لا أن يأمرهم بالخير فلا يأتيه، ولا أن ينهاهم عن الشر فيأتيه؛ فيكون قدوة سيئة لأولاده، وتكون دعوته وتأديبه لهم في تناقض عظيم وتبايُّن عجيب، فلسان حاله في واد وفعاله في وادٍ آخر؛ فينشأ الأبناء تحت مثل هؤلاء الآباء نشأةً متناقضة مضطربة فيكون تأثيرهم على أبنائهم تأثيرًا وخيمًا؛ ولهذا يجب على الوالد وهو يؤدِّب أبناءه ويوجه أولاده أن يتذكر دومًا وأبدا قــول الله تبــارك وتعالــى:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمُ نَتْلُونَ ٱلْكِنْكِ ﴾[البقرة:٤٤]، وقـول شـعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومـه: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾[هـود:٨٨] .

 ♦ ومع عناية الوالد بهذه الأمور العظيمة في تأديبه لأبنائه وتوجيهه لأولاده فعليه ألا يعلِّق قلبه بهذه الأسباب وأن يفوض أمره إلى الله متوكلا عليه معتمدا عليه راجياً منه وحده جل في علاه أن يصلح له أولاده وأن يحفظهم بما يحفظ به عباده الصالحين.

 ♦ ولنعلم في هذا المقام أن الوالد إذا وُفَق في هذا الباب -باب تربية الأبناء وتوجيههم - وصبر على ذلك ومنَّ الله عليه بصلاح أبنائه فإنه يترتب على هذا الصلاح وعلى هذه التربية والتأديب من الآثار الحميدة والعوائد المباركة التي يجنيها الوالد في دنياه وفي قبره ويوم لقاء الله تبارك وتعالى أمورًا لا حصر لها . وكذلك في مقام التفريط إذا فرَّط الوالد في تربية أبنائه وتأديبهم فإنه يتعرض بذلك إلى عواقب وخيمة وآثار جسيمة في دنياه وأخراه. ألا فلنتق الله في أولادنا، ولنراقبه جل في علاه في أبنائنا، ولنلحَّ عليه بالدعاء أن يصلحهم وأن يهديهم وأن يسدِّدهم وأن يجنِّبهم مسالك الردي والفســاد، ولنُعنــى بحســن تأديبهــم وجميــل توجيههــم وحُســن رعايتهم مستمدين في ذلك كله العون من الله وحده جل في علاه. اللهم انا نسألك يا ربنا بأسمائك الحسني وصفاتك العليا وبأنك أنت الله يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم يا رب العالمين أن تصلح لنا أولادنا أجمعين، اللهم منَّ عليهم بالصلاح والهداية والاستقامة والسداد، وجنِّبهم يا ربنا الفساد والردى والهلاك، اللهم لا نرجو ذلك إلا منك، ولا نتوكل في ذلك وفي أي أمر من أمورنا إلا عليك؛ فأنت وحدك المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ركائز تربية الأبناء إعتاد عِيْدُ الرَّرُ الْأَرْ الْمُرْبَعِيْدُ الْمُؤْرِدُ الْمُؤْرِدُ الْمُؤْرِدُ الْمُؤْرِدُ الْمُؤْرِدُ الْمُؤْرِدُ